

إعلان مالطة

الصادر عن ورشة العمل الرابعة لمبادرة ديلوس – أبريل/نيسان 2017

إتفق الحاضرون من اثني عشر دولة (البوسنة والهرسك، اليونان، إندونيسيا، لبنان، مالطة، قبرغيزستان، المغرب، صربيا، إسبانيا، السعودية، جنوب أفريقيا، تركيا)، الذين اجتمعوا في مالطة من 24 إلى 26 أبريل 2017، ضمن ورشة العمل الرابعة لمبادرة ديلوس¹، على النقاط التالية:

- ترتبط مواقع التراث الطبيعي بقيم روحية مهمة في جميع ديانات العالم، مما يساهم في الحفاظ على هذه المواقع.
- يستخدم مفهوم "مواقع طبيعية مقدسة" في هذا السياق كمصطلح شامل للتعبير عن أنواع مختلفة من المناطق، ونظم الإدارة والحوكمة المختلفة، ومختلف الفروق الدقيقة فيما يخص فهم القيم الروحية للطبيعة. يتم التعبير عن هذه المواقع في لغات العالم الأساسية بمصطلحات شديدة التفاوت، مثل مواقع مقدسة، أو مناطق محرمة، أو أماكن مقدسة، أو مواقع رؤيا، أو أماكن لها قوة روحية، وغير ذلك من المصطلحات. العديد من الفروق الدقيقة الهامة في هذا الصدد ليس من السهل ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية.
- توجد أنواع مختلفة من المناطق المحمية ذات الأهمية الروحية في المجتمعات المسلمة، والتي تجسد تعاليم "خلافة الإنسان في الأرض". ومن أهم الأمثلة على ذلك الحرمين المقدسين اللذين يشملان مدينتي مكة المكرمة والمدينة ويحيطان بهما؛ و"الحمى" الذي يعكس مبادئ أخلاقية للعناية والحوكمة التي وضعها النبي محمد؛ والعديد من المناطق المحمية من طرف المجتمعات المحلية مثل مناطق "حريم" و"حوطة" و"أكدال" و"محجر" و"قروك" و"عادات" و"دوفستا" و"مزارات" و"كرامات". والتي تتضمن في بعض الأحيان إجراءات حفاظ توارثتها الأجيال من مجموعات إيمانية سابقة متوافقة مع التعاليم الإسلامية.
- تعني كلمة "حمى" في البلاد المتحدثة بالعربية مجموعة من الضوابط والقواعد الفعالة مقارنة بمصطلحات أخرى مستخلصة من المفاهيم الأوروبية الخاصة بالمناطق المحمية، وهذه القواعد هي: الحوكمة الشرعية، الخير العام (للشخص كما لمختلف مخلوقات)، ربط الحفاظ على الطبيعة بالاستخدام المستدام، ودرء المفساد مقدم على جلب المصالح. هذا التراث الثقافي الغني، والذي يتضمن مشاركة المجتمعات المحلية في الإدارة والحوكمة، يفرض الاعتراف به كمكون متوافق مع ممارسات الحفاظ على الطبيعة في المجتمعات المسلمة، كما اعترف بذلك القرار 122 الذي أقرته الجمعية العمومية للاتحاد الدولي للحفاظ على الطبيعة (IUCN) في عام 2012. وهناك حاجة ملحة للاعتراف القانوني بمبدأ "الحمى" في البلاد التي يسري فيها هذا المبدأ.
- تشكل جهود حماية المواقع الطبيعية المقدسة جزءاً مهماً من الأجوبة المطلوبة بحدة لوقف تدمير الطبيعة في جميع أنحاء العالم. فإذا فشلت جهود حماية تلك المواقع ذات الأهمية بالنسبة لأديان العالم، فسيكون من الصعوبة بمكان توفير الإرشادات الأخلاقية لحماية المواقع التي لا تتمتع بمكانة مقدسة لذا يجب القيام بمجهودات خاصة للتصدي لعوامل التدمير في تلك المواقع.
- تواجه الكثير من المواقع الطبيعية المرتبطة بديانات العالم أخطاراً تهدد جميع أو بعض جوانبها الروحية، والثقافية، والطبيعية، سواء كانت هذه المواقع ضمن مناطق محمية أو خارجها. ويعود ذلك لعدة عوامل، مثل ضعف دعم الجمهور، أو إنعدام ضعف التعاون من طرف مديري المواقع المحمية المختلفة، السياحة، أو التنمية غير المستدامة أو غير الملائمة، أو النزاعات المسلحة، ضعف القيم الدينية والروحية، أو تدهور أو اختفاء الهيئات التقليدية التي كانت تدير هذه المواقع

1 مبادرة ديلوس هي جزء من الإتحاد الدولي للحفاظ على الطبيعة، اللجنة العالمية للمناطق المحمية، وتعمل ضمن إطار المجموعة المختصة بالقيم الثقافية والروحية للمناطق المحمية (CSVPA SG). (www.med-ina.org/delos)

وتحميها، أو التطرف الديني. هذه العوامل، مجتمعة، تؤدي إلى تدمير مواقع التراث الطبيعي والثقافي الذي لا يمكن تعويضه.

تشكل حماية المواقع الطبيعية المرتبطة بديانات العالم تحدياً وكذلك فرصة يجب معالجتها مع الأخذ بعين الاعتبار أن بعض الأماكن الدينية والمواقع المقدسة قد تكون جزءاً مندمجاً ضمن مجموعات أكبر، تشمل مباني تاريخية، ومشاهد ثقافية ومواقع طبيعية. إن أهمية هذه المواقع ومصالح المجتمعات المرتبطة بها تستلزم ضرورة الاعتراف بها ضمن عمليات الحوكمة والإدارة.

يجب معالجة قضايا الأصالة والاستدامة وحقوق الإنسان لاستخدام المواقع الطبيعية المقدسة، بناءً على الفهم والاحتياجات المعاصرة والحق في التراث والاستمرارية، لوضع الحد الفاصل بين التنمية وما يمكن أن يكون تدميراً. وتعتبر الحياة البرية جوهرية بالنسبة لبعض المواقع الطبيعية المقدسة لذا فإن بعض جهود تحسين الولوج وتيسير الزيارة يمكن أن تؤدي إلى تعريض هذه المواقع لخطر تدمير خصائصها الروحية والطبيعية.

يمكن أن يؤدي تعزيز التسامح تجاه تعددية التعبيرات الدينية في العالم إلى دعم القائمين على حماية المواقع الطبيعية المقدسة، وفي نفس الوقت دعم الجهود القيمة محلياً للحفاظ على الطبيعة وحماية الأصالة واستمرارية الممارسة. يجب دعم وتشجيع الحالات المتميزة للمواقع الطبيعية المقدسة من طرف أكثر من ديانة واحدة والتي تعاون فيها المؤمنون بسلام على مدى قرون، كما يجب التعريف على نطاق واسع بهذه التجارب المشتركة كممارسة نموذجية.

يعتبر الجرد الوطني أو الإقليمي للمواقع الطبيعية المقدسة المرتبطة بمختلف العقائد الموجودة، مع تقييم حالاتها ومدى الحفاظ عليها وما يهددها من أخطار، من أهم أساليب الحماية المنهجية للمضي قدماً بهذه الجهود نحو إبراز أفضل للجماعات المهمشة أو الممارسات المتلاشية. ويعتبر الجرد الذي تم حديثاً لمثل هذه المواقع في قبرغيزستان مثلاً يحتذى لبلاد ومناطق أخرى.

وفي كثير من الحالات، يكون الحافز للحفاظ على المواقع الطبيعية المقدسة مرتكزاً على معتقدات تقليدية بأن خير الإنسان والمجتمع مرتبط بسلامة وتكاملية الأماكن المقدسة. إن المعاملة بالمثل والعلاقة المتبادلة والمسؤولية المشتركة بين الماضي والحاضر، وبين الأحياء والموتى، وبين الأجداد والأحفاد، وبين البشر والمخلوقات الأخرى، والتي ترتبط من خلال الطقوس بالعديد من المواقع الطبيعية المقدسة، يمكن أن تقدم الإلهام لمعايير الحفاظ على الطبيعة.

تدعو الاستمرارية الطبيعية للتراث المرتبط بديانات العالم إلى الحوار والفهم المشترك بين المؤسسات الدينية والمجتمعات وذوي الشأن، والذين يجب أن يعملوا معاً لحفظ سلامة وتكاملية وأهمية جميع أبعاد المواقع الطبيعية المقدسة، والاعتراف بأن مسؤولية الإدارة المستدامة لهذا التراث تقع على جميع ذوي الشأن، وعلى تبني القبول والاحترام المتبادل مما يدعم تضافر الجهود لمقاومة فعالة للأخطار المتزايدة.

لعبت المؤسسات الدينية، والمجتمعات المتدينة وما زالت تلعب دوراً مهماً في إنشاء وصيانة واستمرار المواقع المقدسة. فقد كانوا على مدى قرون طويلة الحراس التقليديون لأعداد كبيرة جداً من المواقع الطبيعية المقدسة في معظم الأنظمة الإيكولوجية في العالم، وكانوا يعتنون بها كتراث حي. ويمكن اعتبار التجارب الغنية التي طوروها في بعض الحالات المميزة للمحافظة على الطبيعة بمثابة ممارسات نموذجية لذلك يمكنهم تقديم الإرشادات لاستلها المثل للتحديات الكبيرة التي تواجه المواقع الطبيعية المقدسة الأخرى والتراث الطبيعي بصورة عامة، خصوصاً في تلك الأماكن من العالم التي يشترك فيها المجتمع نفس القيم الدينية.

تتطلب الحماية الشاملة الفعالة لتراث المواقع الطبيعية المقدسة فهماً شاملاً لجميع أبعادها، وتخطي الحواجز المفتعلة بين الثقافة والطبيعة والروحانيات، باستخدام أساليب تشاركية، وبالاعتماد على السلطات المحلية، والمجتمعات المحلية – بما في ذلك الأقليات والجماعات المهمشة – وذلك لإدماج الاحتياجات المحلية وضمان الدعم المحلي.

- وفيما يخص المناظر الطبيعية ذات القيمة الأثرية والمرتبطة بمقدسات، سواء كانت في الماضي أو في الحاضر، فمن المفضل تطوير التأويل والاستخدام العمومي بطرق تتحلّى بالاحترام الواجب للمعاني المقدسة الخاصة بتلك المناظر عند نقلها للزوار، والحفاظ قدر الإمكان على كل من الملامح الثقافية والطبيعية لتلك المناظر.

وفيما يخصّ مواقع طبيعية مقدسة محدّدة، أشار الحاضرون للآتي:

- أهمية الحفاظ على سلامة وتكاملية المواقع الطبيعية الباقية ضمن الحرمين المقدسين الذين يشملان مكة والمدينة وما حولهما، والتي يقوم بزيارتها الملايين من الحجاج كل سنة – وذلك ضمن دورها المتوقع لإضفاء التوافق بين الإنسان والطبيعة، والتعبير عن خلافة الإنسان على الأرض – ونشر الوعي البيئي في العالم أجمع.
- يوضح نجاح إحياء "الحمى" للحفاظ على المواقع ذات القيمة العالية للتنوع البيولوجي في لبنان (18 حمى في ستة مجالات مهمة بالنسبة للطيور والتنوع البيولوجي منذ 2004) أهمية المبادرات المجتمعية في توسيع شبكة المناطق المحمية والتي أنشأتها وتديرها الحكومة، وكذا تعبئة جهود الشباب المحلي مثل "حمية الحمى" لدعم هذه المناطق عن طريق المراقبة البيئية، وإعادة التأهيل، والتواصل لزيادة الوعي، وإدارة الزيارات.
- يعدّ مشروع الاستعادة الإيكولوجية لنهر الأردن، والذي بدأ تنفيذه بين الأردن وإسرائيل وفلسطين، مثالا ملهما لاستعادة السلامة الإيكولوجية، وجمال هذه المناظر الطبيعية المقدسة القيمة من خلال التعاون بين المنظمات البيئية في البلدان الثلاثة، والأديان الثلاثة المعنية والتغلب على العقبات السياسية.
- ينبغي تجنب الأخطار التي تهدد سلامة بحيرة سكاदार (المشتركة بين الجبل الأسود وألبانيا)، وجبل روميجا (في الجبل الأسود)، ووقف أي تطوير ضار في المنزه الوطني لبحيرة سكاदार، مع مراعاة ليس فحسب الأهمية الاستثنائية للتراث الطبيعي، ولكن أيضا الأهمية الثقافية والروحية لمنطقة البحيرة واستعادة المباني والتقاليد المقدسة كالمواكب إلى جبل روميجا.
- تعتبر المواقع الطبيعية المقدسة مكونات أساسية للهوية وللإستدامة الثقافية للكثير من الجماعات الدينية. وغالبا ما تعكس القرارات التي تتخذ بشأن حماية وإدارة هذه المواقع آليات السلطة وغياب المساواة مما يؤدي إلى تباينات في الاهتمام والقدرة والاستعداد للمشاركة. ولضمان مشاركة أكبر في الحفاظ على المواقع الطبيعية المقدسة، يجب توفير كل الآليات الرسمية وغير الرسمية لضمان مشاركة المجموعات المهمشة. على سبيل المثال تحتاج الأماكن المقدسة الخاصة بالجماعة العلوية البكتاشية في تركيا إلى الحماية بتعاون الهيئات المعنية والحضور الفعال لمسؤولي الجماعة.
- يبعث على التفاؤل تنشيط العادات والممارسات التقليدية الجماعية المعروفة باسم "عادات" في إندونيسيا، البلد الذي يضم أكبر تعداد سكاني من المسلمين وكذلك بعض أهم أماكن التنوع البيولوجي في العالم، يبعث على التفاؤل. كما أن الممارسات المجتمعية للحفاظ على الطبيعة والمبنية على العقيدة الإسلامية في سومطرة – حيث يضمن العرف حماية الغابات (هوتان لارانجان) وحماية الأنهار (لوبوك لارانجان) وحيث يمنع صيد السمك في أوقات معينة – تبدو متقاربة مع مبدأ مناطق "الحرم" و"الحمى". ومثل هذا الممارسات المجتمعية لأنشطة الحفاظ على الطبيعة تستحق المزيد من الدعم القانوني والدعاية لرفع مستوى الوعي، ونشرها كأتملة على أفضل الممارسات.

يوذّ الخبراء المجتمعون التعبير عن امتنانهم لجامعة مالطة لدعمها في تنظيم ورشة العمل، وكذلك مؤسسة MAVA و MedINA لتقديمهما التمويل اللازم.

مالطة في 26 ابريل/ نيسان 2017